الإستلزام الحواري في حوارات موسى عليه السلام وقومه بني إسرائيل

الدكتورة فاطمه أكبري زاده
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الزهراء، طهران، إيران
f.akbarizadeh@alzahra.ac.ir
الدكتورة ريحانه ملازاده
الأستاذ المساعد، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الزهراء، طهران، إيران
r.mollazadeh@alzahra.ac.ir

The Conversational Implicatures of speech between Prophet Moses (PBUH) and Bani Israel

Fatemeh Akbarizadeh
Assistant Professor , Department of Arabic Language and Literature , faculty of Literature , Alzahra University , Tehran , Iran
Reyhaneh Mollazadeh
Assistant Professor , Department of Arabic Language and Literature , faculty of Literature , Alzahra University , Tehran , Iran

الملخص:-

القرآن الكريم خطاب أنزله الله بلسان معجز ونصٌ حي على مدّ العصور، يمكن فهمه بدراسة آفاق معانيه ومستوياته المتعددة بمختلف آليات البحث و منها آليات البحث التداولي. التداولية علم كشف الدلالات و المعاني حسب تحليل شيفرات النص معتمداً على السياق وحال المتكلم و المخاطب. وفيه نظريات مختلفة من المنظّرين اللسانيين و منها الأفعال الكلامية ونظرية الاستلزام لغرايس الذي يهتمّ المقال بهذا الأخير. واعتقد غرايس أن هناك القواعد الضمنية لانجاح التواصل والحوار أي المتحاورون يستخدمون الآليات اللغوية خاضعا لأصل التعاون وأربعة سطوح من مبدأ الكم، والكيف، و المناسبة، والأسلوب؛ وأي خرق لهذه الأربعة يستلزم الدلالات الضمنية الأخرى غير المباشرة. فهذا المقال معتمداً على المنهج الوصفي التحليلي، ينوي دراسة حوارات موسى و قومه في مختلف ما يأمرهم الله به خلال آيات من سورة البقرة، وما يخترق في الحوار من المبادئ الأربعة من أصل التعاون والتأدب. والنتائج تشير إلى أنّ هناك الاستلزامات الحوارية في كلام موسى أحيانا و كلام القوم في الحوار معه أحيانا أخرى و الأغلب يستلزم موسى بأصل التعاون في الحوار ليهديهم إلى الصواب حتى يترك الحوار لئلا يستلزم كلامه خارج أصل التعاون. ولكن بما أنّ القوم كانوا يتكلمون بما لا ينوون في قلوبهم تعنتا و عنادا، فكلامهم قد يخترق مبادئ غرايس الأربعة، ليستلزم المقاصد الأخرى، وهنا يحاول المقال أن يرصدها بكتب التفاسير وحسب آليات الكلام والسياق وقصد المتكلم والمخاطب.

الكلمات المفتاحية: القرآن، التداولية، الاستلزام الحواري، غرايس، موسى عليه السلام، بني إسرائيل.

Abstract:-

The Holy Quran is a discourse that Allah has revealed with a miraculous expression and a dynamic text for all ages, and a better understanding of it, depends on the study of various levels with different tools of research, and such these tools is pragmatics study. Pragmatics science is the knowledge of discovering the meanings and meanings that is done based on the cryptographic analysis of the text and relying on the analysis of the context and the situation of the speaker and the audience. In this field, various theories have been proposed by theorists; Including the Grise's theory of speech act and Conversational Implicatures theory, which this article studies the theory of Conversational Implicatures in speech. According to Grise, there are implicit rules for success in communication and dialogue, or in other words, the interlocutors for effective communication through language tools is based on the cooperative principle and based on four levels such quantity, quality, relation and manner. And any violation of these four cases requires other indirect implications. Now, this article intends to examine the violations of the four cooperative principle and the principle of politeness in a descriptive-analytical method, in verses of Surah Al-Baqarah, which is dedicated to the dialogue between Moses (PBUH) and his people and God's commands. The results show that sometimes there are implications of dialogue in the speech of Moses or in conversation with his people. Most of the time, Moses is required to guide them in the principle of cooperation in the conversation, and in cases where the conversation with them is useless, and so that his words are not outside the cooperative principle, he leaves the dialogue and leaves their fate to Allah. However, the people of Israel, who stubbornly said what they did not have in their hearts, sometimes violate the four principles of conversation in their speeches in order to seek other goals. This article tries to examine these conversational implications with the help of commentary books and in accordance with the tools of pragmatic analysis of speech based on the context and purpose of the speaker and the audience.

Key words: Quran, pragmatics, Conversational Implication, Grise, Moses, Bani Israel.

١. مسألة البحث

القرآن كمعجزه خالدة عبر اللغة خاطب العقول و القلوب بأسايب مختلفة مباشرة و غير مباشرة؛ إذ دراسة دلالات الخطاب القرآني يرشدنا على فهم المقصود ويكشف آفاق النص ومعانيه. من النظريات والاتجاهات النقدية الجديدة التي تهبنا آليات التحليل والدرس المعمق هي الأسلوب التداولي الذي يدرس الخطاب عبر الداخل بالنظر إلى السياق والمعطيات الخارجية للنّص. فالتداولية (pragmatique) علم تواصلي جديد، يعالج كثيرا من ظواهر اللغة ولها مجال رحب و مباحث متعدّدة، ويعدّ من أهم المناهج الحديثة الّتي فتحت آفاق البحث اللساني فيما يتعلق بالعملية الخطابية، في سبيل الكشف عن المعاني الثّانوية خلف الاستعمالات اللّغويّة، ليكون هدفه الأول والأخير هو وضع استراتيجيّات لإنتاج الخطاب وفهمه الأكثر.

وكانت بداية تطور اللسانيات التداولية بنظرية أفعال الكلام التي ظهرت مع ((جون أوستين)) ((J.Austin، وتطوّرت على يد تلميذه ((جون سيرل)) (J.Searle) وبعض فلاسفة اللغة من بعده، لتظهر بعدها نظريات أخرى تشكل مجتمعة ما يعرف باللسانيات التداولية (أفعال الكلام، الاستلزام التخاطبي، الإشاريات، الحجاج،...). والاستلزام الحواري يعتبر نوع من الانزياح الكمي والكيفي وانزياح المناسبة وانزياح الأسلوب الذي يعبر عن المعني المقصود الكامن في النصّ واللغة من حيث علاقاتها بمستعمليها أي يقتضي الكلام لمعني غير معناه الحرفي. و يمكن القول بأنه يهدف الاقتضاء التخاطبي و هو لزوم شيء عن طريق قول شيء آخر(اسماعيل، ٢٠٠٥: ٧٨). وصفوة القول هو إن معرفة قواعد اللغة ومعاني مفرداتها لا تسعف وحدها في فهم التّعبيرات اللّغويّة المستخدمة، لأن المتكلّمين لا يتقيّدون بحرفية اللّغة في كثير من الأحيان، وهو ما يجعل المخاطب في حاجة إلى عوامل عديدة أخرى لفهم حديث المتكلم، منها السياق الثّقافي والاجتماعي، وجملة الاستنتاجات التي يهتدي إليها منطقيّا أو عرفيّا عن طريق القرائن، ومن هنا ينبغي التّفريق بين المعنى اللّغوي والمعنى المقصود؛ فالمعنى اللّغوي هو المعنى المفهوم عن طريق اللّغة وحدها، والمعنى المقصود هو المفهوم من القولة المستخدمة في ظلّ عناصر السياق (راجع: على، ٢٠٠٧، ١٤١).

القرآن الكريم كتاب الله الخالد نزل لهداية النّاس بلسان عربي مبين أي يراعي فيه مبدأ

التعاون و المتلقي يدرك المعني والمضمون ليهدي إلى سواء السبيل. هذا المقال ينوي دراسة الخطاب القرآني من منظور الدرس التداولي حسب نظرية الاستلزام الحواري والتي تكشف عن المقصود غير المباشر من القول وتقف على مقاصده من خلال السياق. وأهمية الدراسة تكمن في البحث عن الجانب التواصلي اللساني للخطاب القرآني وكشف الأغراض الدلالي والتأثيري والجمالي له والإسهام في الدراسات الحديثة من منظور نقدي جديد اهتماما بالخطاب القرآني. وحسب الدراسات السابقة والآيات غير المدروسة من جانب الباحثين اهتمّ المقال بدراسة نماذج من حوارات موسى مع قومه بني اسرائيل وحسب المجال المحدد في المقال فاكتفي بالكلام عن سورة البقرة و درس الاختراق في القواعد الأربعة للتعاون الكلامي حسب نظرية الاستلزام بما جاءت احتجاجاتهم وعنادهم في اعتناق قول الرسول و إطاعة أوامر الله؛ فحاول المقال إلى الإجابة عن هذه **الأسئلة:**

١- ماهي مواقع خرق مبدأ التعاون في حوارات موسى عليه السلام مع قوم بني إسرائيل في القرآن الكريم؟

٢- ما هي الدلالات التي تستنتج حسب الاستلزام الحواري في هذه الحوارات؟

- الدراسات السابقة

اهتم الباحثون بدراسة الاستلزام الحواري في القرآن عامة و بعض السور والآيات خاصة ومنها:

- عالجت أطروحة ((الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا ابراهيم عليه السلام، دراسة تداولية)) (٢٠١٧)، مفهوم التداولية وبرز أهميتها، فتناول تعريف الاستلزام الحواري وأهم خصائصه التخاطبية، ثم اختارت الكاتبة مجموعة من خطابات النبي إبراهيم عليه السلام من سور مختلفة وحاولت تطبيق ظاهرة الاستلزام الحواري على النص القرآني حسب المنهج الوصفي المبني على الاستنتاجات، وفي الختام توصّل البحث إلى أنّ في تطبيق هذه النظرية على النص القرآني يجب العودة إلى السياق لمعرفة الحدث الكلامي، وفي الختام رأت الباحثة إلى أنّ وجود أكثر من مبدأ واحد وأيضا تعدّد الخطاب الواحد بوجوه عدة، يعتبر من وجوه إعجاز القرآن الكريم.

- أطروحة ((الاستلزام الحواري في القرآن الكريم سورة الكهف أنموذجا)) (٢٠١٧)، تهتم بمفهوم الاستلزام الحواري وتكشف عن الجانب الآخر من التواصل وتجوز تسميته بـ ((التواصل غير المباشر)) لأنّ المتكلم يقول كلاما ويقصد غيره، و جاءت سورة الكهف رداً على الأسئلة التي طرحها المشركون لغرض تعجيز النبي ونفي النبوّة عنه.

- أطروحة ((الاستلزام في سورة الحجرات(دراسة تحليلية تداولية)))، (٢٠١٧)درست سورة طه، ومن أهم نتائج البحث أنّ في سورة الحجرات تتضمّنت خمسة عشر آية، نوعين من الاستلزام، وهما الاستلزام العرفي والحواري.

- مقال ((الاستلزام الحواري في سورة طه، تحليل تداولي وفق نظرية غرايس)) (٢٠١٨)، قامت المؤلفة بتحليل المقاطع الحوارية في السورة واستلت الحوار من السّرد، ثم بينت معانيها الضمنية بمدد السياق لتكشف أغراض المتحاورين والمقاصد التي يرمون إليها، ومن أهم نتائجها خرق قاعدة التعاون مع موسى عليه السلام من جانب فرعون، الذي ظهر من خلال أقوال المتكلّمين وحسبت هذا سبباً من أسباب استعمال الحوار إلى جانب السرد القرآني.

- مقال ((الاستلزام الحواري في الخطاب القرآني مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة)) (٢٠١٩)، درس بعض الآيات حسب الأساليب الانشائية و الخبرية المختلفة و توصل البحث إلى أنّ ظاهرة الاستلزام الحواري التداولية تتمثل في خروج كثير من الأساليب الخبرية والإنشائية عن معانيها الحرفية الأصلية إلى معان مستلزمة يحدّدها السياق والمقام الذي يجري فيه الخطاب.

- مقال ((الاستلزام الحواري في سورة يوسف (دراسة تداولية) (٢٠٢٠)؛ درست الباحثة فيه أثر الاستلزامات الحوارية في تأويل الخطاب وإدراك المقاصد من خلال تطبيقها على سورة يوسف كأنموذج. ويري نجاح عملية الاستلزام يتوقف على توفر شرط القصد لدي المتكلم والقدرة على الإدراك والتأويل من قبل المتلقي.

- مقال ((الاستلزام الحواري لحوارات موسى و ابراهيم في سورة الشعراء وفق نظرية غرايس)) (٢٠٢٠). و يدرس أغراض المتحاورين في هذه السورة. و انحصر على

حوارت النبيين موسى عليه السلام وابراهيم عليه السلام حسب السياق القرآني، و من نتائجه رفض فرعون التعاونَ مع موسى ولما عرف الله نواياه لعدم نية لديهم للايمان أهلك الله فرعون و هامان وجنودهما.(راجع أسواري،٢٠٢٠: ٢٠٠)

- وهناك رسالة ((آليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية)) (٢٠٢٠). وتناول المؤلف البحث في خمسة فصول من مختلف الآيات كشواهد عن الاختراقات الأربعة، ومن جملة النتائج التي وصل إليها يمكن الإشارة إلى أنّ الاستلزام الحواري يحسب نوعا من الانزياح الاستبدالي، وكذلك الأفعال الكلامية غير المباشرة ليست من ضمن الاستلزام الحواري، وأما فن التعريض البلاغي وأسلوب الحكيم والكناية فتحسب منه تستعمل لبيان أغراض متعددة. كما جاء في القرآن من أساليب الانزياح الكمي هو حذف الجواب و حذف المعادل و ما التعظيمية، و الانزياح الكيفي هو الاستعارة، المجاز، التشبيه البليغ، المشاكلة والتجريد والغلو في المبالغة، والانزياح للمناسبة هو أسلوب الحكيم والتعريض، والانزياح للأسلوب هو الكناية والتورية.

كل هذه الدراسات توحي بأنّ هذه النظرية تليق بالبحث والاهتمام في الخطاب القرآني وتساعد في الكشف عن المعاني والدلالات. فبما أنّ هناك بعض الآيات والحوارات لم تدرس بعدُ، فيهتم هذا المقال بالآيات من سورة البقرة من الحوارات بين موسى عليه السلام و قومه، فالبحث جديد في نطاقه.

٢. الاستلزام الحواري

وذهب الفيلسوف الإنجليزي هربرت بول غرايس(Grise paul Herbert) في مقالته (المنطق والتخاطب) المنشور عام (١٩٧٥)، إلى أنّ ((المتكلم في بعض الأحيان لايعني ما يقول بل يضمر معني آخر في خطابه، فالأول يسميه المعني الطبيعي (natural meaning) أي المعني الحقيقي، والآخر يسميه المعنى غير الطبيعي (non natural meaning)، نحو: إنك ثعلب، والمقصود أنّك ماكر جداً. وهذا المعني يقصد به عبر التواصل. ويرى أنّ ما يميز كلتي الدلالتين عن بعضهما هو وجود ما سمّاه بالقصد (meaning) ومن هنا نشأت عنده فكرة الاستلزام(implicature))).(Grice,1995: 78) وهنا لابد أن يذكر

بأنه كانت ملامح قديمة لهذه النظرية في علم التداولية، عند علماء اللغة العربية كابن جني و... في المباحث الشتي كالحذف والايجاز و الإطناب والعلماء كانوا يهتمون بالدلالات غير الظاهرية وقصد المتكلم وفهم المتلقي (الدنيناوي،٢٠١٨: ٧١و٨٧). لكن غرايس ذكره في إطار نظرية مستقلة بقواعد و أصول خاص.

رأي غرايس أنّ الاستلزام نوعان: الاستلزام العرفي (المعجمي) و الاستلزام الحواري غير العرفي (غير المعجمي). وأمّا الاستلزام العرفي المعجمي فقائم على ما تعارف عليه أصحاب اللغة، يعني به كون مجموعة من الألفاظ تستلزم معانياً معينة دائماً، حسب عرف اللغة و المعني المعجمي للكلمات الصريحة وغير الصريحة. مثل لفظة ((لكن)) وتقابلها في الإنجليزية ((but)). فهذه اللفظة دائما حرف عطف واستدراك، يُثبت لما بعده حكماً مخالفاً لحكم ما قبله. أما الاستلزام الحواري فهو متغير دائما بتغير السياقات.(موشلار:٢٠١٠،٢٦٨-٢٦٦). وهناك الاستلزام الحواري (غير العرفي) التخاطبي المرتبطة ببعض الأصول العامة للخطاب. (Grice, 1995: 45) ومنها الاستلزام الحواري المعمم أو العام (Generalized Conversational Implicatures)، والاستلزام الحواري الخاص(Particularized Conversational Implicatures).

الاستلزام الحواري العام يولّده الشكل اللغوي لا سياق اللفظ(البلداوي، ٢٠١٩: ٣٧٢) وينتج طبيعيا بواسطة استخدام بعض التراكيب اللغوية مستقلا عن السياق(سعاد، ٢٠١٨: ٣٢٥) مثلما ينوي المتكلم في استخدام النكرة والمجهول و ما إلى ذلك. والاستلزام الحواري الخاص حصيلة علاقة القول بالسياق في التواصل. ومن منطلق الاستلزام الحواري الخاص، فقد كان ما يشغل بال "غرايس" هو كيف يمكن أن يقول المتكلّم شيئا ويعني شيئا آخر؟ وفي المقابل كيف يمكن أيضا أن يسمع المخاطَب شيئا ويفهم شيئا آخر؟ واقترح "غرايس" النظريةً مفادّها أن الحوار محكوم بقواعد المحادثة وتحت مبدأ عام(الشهري،٢٠٠٤، ٩٦) إذا انتهكت المبادئ الحوار (flouting of maxims) هو الذي يولد الاستلزام. واقتضاء الكلام لمعني غير معناه الحرفي يؤدي إلى إجراء استلزام في الحوار والمعاني الثانوية الضمنية. وممكن أن يعتبر الاستلزام الحواري الخاص الخروج من المعني لا على مقتضي الظاهر وهو الانزياح حسب مبدأ التعاون. و يلاحظ غرايس في كل حوار وجود مبدأ عام متفق عليه ضمنيا بين المتحاورين و يخضع كل المتحاورين لهذا المبدأ و هو مبدأ التعاون(cooperative

principle). والمقصود من هذا المبدأ أنّ المتخاطبين عندما يتحاورون، إنما يقبلون ويتّبعون عدداً معيناً من القواعد الضمنية اللازمة لاشتغال التواصل. ولإنجاح هذا التواصل وتحقيق غرض التواصل من أجل الوصول إلى الأهداف المشتركة من الحوار. (بلانشية: ٢٠٠٧، ٨٤) وقد اقترح جرايس مبدأ التعاون حسب القصدية في التواصل الحواري والاختلاف بين ما يقال والدلالات غير اللفظية إعتمادا على فهم السامع بما يتوفر لديه من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال والربط بين المعني الصريح والمعني المتضمن (أدواري: ٢٠١١، ٩٩)؛ إذ تتحدّد دلالة الجمل داخل السياق الذي وردت فيه(الدنيناوي،٢٠١٨: ٧٢). ووفقا لمبدأ التعاون فينبغي أن تكون مساهمتك الحوارية بمقدار ما يطلب منك في مجال يتوسل إليه بهذه المساهمة، وغاية الحديث المتبادل أو اتجاهه، وأنت ملتزم بأحدهما في لحظة معينة. (Grice,1995:٢٦) وأي خرق لتلك القوانين يؤدّي إلى اختلال المعني واستلزام معني آخر.

وقد فرع غرايس من مبدأ التعاون أربع قواعد تخاطبية تتعلق بالاستلزام الحواري، وهي:

١- مبدأ الكمّ (quantity): ينبغي أن تتكلم ما هو ضروري بالضبط ولاتزيد أكثر من ضروري ولا أقل منه.

٢- مبدأ الكيف (quality): تحدّث بصداقة وعلي أحسن وجه. فلاتقل شيئا دون الحجة الكافية.

٣- مبدأ المناسبة أو الملائمة(relation): أن تجعل مساهمتك في الحوار ملائما لمقتضي الحال ومناسبا للحوار.

٤- مبدأ الأسلوب أو الطريقة (manner): وليكن كلامك واضحا، مختصرا، منظّما، وأن يتجنّب اللبس والإسهاب والغموض.

Grice, 1995). ومما يلاحظ على هذه المبادئ الأربعة أنّ غرايس قد أدرج تحت كل قاعدة عددا من التوصيات. وذكر أنّ مراعاة هذه التوصيات من قبل المتحاورين تساعد إلى فهم المحادثة وتحقيق الهدف المشترك. (ظافر الشهري: ٢٠٠٤، ٩٦) وإذا انتهك المتكلم مبدأ من مبادئ الحوار أدرك المخاطب اليقظ ذلك، وسعي إلى الوصول إلى هدف المتكلم من هذا الإنتهاك. (Greenal,2006:545)ومن أصول الاستلزام، أنّه قد ينكره المتكلم وقد

يتغير حسب السياقات المختلفة، ومصطلح الاستلزام أو التلميح يطلق في الأغلب على هذا النوع الاستلزام الحواري الخاص(يول، ١٣٩١: ٦٢).

العرب القدامى لم يستخدم مصطلح الاستلزام الحواري بل استخدموه تحت مسميات أخرى (كوثر،٢٠١٧: ٦٥)، ويمكن أن نلاحظ الزيادة في الكلام دون استلزام معني حرفي آخر، فإن ذلك من باب الإطناب؛ و الاستلزام من الانزياح من قاعدة الكيف هو التعريض إلى معني آخر أو المجاز؛ وانزياح الأسلوب هو الغموض للمعاني الأخرى (عبدالمنعم،٢٠٢٠: ٣٨-٤١). وكذلك الاستلزام الحواري بالعناية إلى أطراف الحوار يشبه الأسلوب الحكيم الذي يعني بالمتكلم وردّ فعل المتلقي(الجهني، ٢٠١٥: ١٠٠). فكل الانزياح الدلالي هو الانزياح عن المعني نفسه أضاف إلى المعني الحرفي من الدلالات حسب ما يستلزمه السياق(همان: ٥٥). ونجاح عملية الاستلزام يتوقف على مراعاة شروط القصد عند المتكلم وإدراك المتلقي حسب القرائن السياقية للكلام (عبدالحافظ القباطي،٢٠٢٠: ٤٥٧).

هذا وقد حاول بعض الباحثين تطوير مبادئ المحادثة لغرايس واستكمال جوانب النقص فيها، لأنها أساسٌ لنجاح كل أنماط الخطاب، فاستلهموا أفكار غرايس واتخذوها منطلقاً لتأسيس وبناء أفكار أخرى. من هذه المبادئ:

- 1مبدأ **التأدب (التهذيب)**(politeness) لـ "روبين لايكوف(Robin Lakoff) " وفحو اه: (كن مؤدبا) ويقضي بأن يلتزم المتكلم والمخاطب في تعاونهما على تحقيق الغاية التي من أجلها دخلا في الكلام بأن يراعيا قواعد أصل الأدب من أجل تحقيق أهداف الخطاب والتعبير عن المقاصد.(سعاد،٢٠١٨: ٣٢٨) و يتفرع عن هذا المبدأ ثلاث قواعد هي: ((أ- قاعد ة التعفف: وهي لا تفرض نفسك على المخاطب، أي لتبق متحفظا و لا تتطفل على شؤون الآخرين ب- قاعدة التشكيك (التخيير): وهي لتجعل المخاطب يتخذ قراراته بنفسه ودع خياراته مفتوحة. وتقضي هذه القاعدة بأن يترك المتكلم للمخاطب مبادرة اتخاذ قراراته بنفسه. ج- قاعدة التوودّد: توجب هذه القاعدة على المتكلم أن يظهر الودّ للمخاطب؛ و عامله معاملة النظير للنظير))(تومي،٢٠١٩: ٤٥)

مبدأ **التواجه** لـ "براون (P.Brown)" و"ليفينصن (S.Levenson) هو مبدأ تداولي يسمي ظاهرة "التأدب "، ((ويقوم هذا المبدأ على مفهومين أساسيين؛ هما: -مفهوم الوجه:

وهو عبارة عن ذات الشخص التي تتحدد بهاا قيمته الاجتماعية؛ - مفهوم التهديد: يرى الباحثان بشأن هذا المفهوم أن من الأقوال ما ينزل منزلة الأعمال في الوجه تهديدا ذاتيا، وهي الأقوال التي تهدد مع في دفع الاعتراض تُعوق بطبيعتها إرادات المتكلم أو المستمع في دفع الاعتراض وجلب الاعتراف. (تومي،٢٠١٩: ٤٦)

وهناك مبدأ آخر أي مبدأ "**التأدب**" عند "جوفري ليش (G.Leech)" وفحواه: قلّل من الكلام غير المؤدب. أو أ كثر من الكلام المؤدب.(همان:٤٠)

وهناك مبدأ **التصديق** لـ"طه عبد الرحمن" حسب الثقافة العربية الإسلامية، وفحواه: "لا تقل لغيرك قولاً لا يصدقه فعلك" (عبدالرحمن، ١٩٨٩: ٢٤٠). وخلاصة هذا المبدأ أ ه يقوم على عنصرين اثنين: يتمثل الأول منهاما في نقل القول الذي يتعلق بالجانب التبليغي في الخطاب، ويتمثل الثاني في تطبيق القول الذي يتعلّق بالجانب التهذيبي فيه.(تومي،٢٠١٩: ٤٦) وركائزه قاعدة القصد والصدق والإخلاص(عبدالرحمن،١٩٨٩: ٢٥٠) ومنهم الأستاذ "طه عبد الرحمن" الذي لاحظ الجانب التهذيبي مراعاة قواعد جمالية واجتماعية وأخلاقية من قبيل (لتكن مؤدبا) التي يتبعها - عادة - المتخاطبون في أحاديثهم، و

٣. دراسة حوار موسى وبني اسرائيل في القرآن

ينوي المقال في هذا القسم من الدراسة أن يهتمّ بأنواع الخروج عن أصول التعاون في الحوار وأغراضه ويحاول أن يدرس المعني المعدول عنه والمعني المستلزم وجمالياته ليكشف آفاق الخطاب القرآني ومعالمه خاصة فيما ينوي دراسته من حوارات موسى عليه السلام مع قومه في مواجهة عنادهم من آيات من سورة البقرة وهو موضوع لم يدرس بعدُ؛ ولو أنّ هناك يكتفي على بعض الآيات لضيق المجال.

٣-١. خطاب موسى لقومه عليه السلام بعد ارتكابهم الإثم بعبادة العجل

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة: ٥٤).

لّما خرج موسى إلى الميقات و رجع إلى قومه، فرأي أنهم قد عكفوا عن الحقّ وعبدوا العجل وانحرفوا عن سبيل الهداية. وقد أشارت الآيات القرآنية إلى هذا الموضوع أي

اتخاذهم العجل ست مرات ومنها هذه الآية، وهي محاورة موسىعليه السلام مع قومه بعد ارتكابهم الذنب في عبادتهم العجل وهو يرشدهم إلى التوبة والإنابة.

يلتزم موسىعليه السلام في كلامه هذا بمبدأ الأدب والتعاون ليرشدهم وبحوار معهم بالرفق والإرشاد، ولا يشير إلى ذنبهم بالتصريح إلى كونهم عابدين العجل، بل يقول إنكم ((إتخذتم العجل)). رغم أنّ كلامه لا يغاير الصدق وهو لا يكتم ذنبهم بل يعتبر هذا الذنب غفلة منهم و ظلمة بأنفسهم ليوصيهم بالإنابة فكأنه ينصحهم بأن يتوبوا ويرجعوا إلى الصواب، بعد انحرافهم عن طريق الحق. فيلتزم موسىعليه السلام في كلامه هذا بمبدأ التعاون، وينادیهم "يا قوم" ويخاطبهم بالقرب والحنان. ثم يشير إلى حقيقة فعلهم وما هي إلا الظلم بأنفسهم. ويراعي موسىعليه السلام مبدأ الكم والكيف في قوله وكما مبدأ المناسبة ولا يخرج كلامه من نطاق فعيلتهم وما يتبعها من النتائج السيئة و هو موضوع الخطاب، بل يساهم في الإضطراب التي يحسّ به المذنبون من قومه ويرشدهم إلى طريق الخلاص من عواقب عملهم؛ إذ يجيب عن السؤال المقدر عندهم وكأنّهم قالوا لموسىعليه السلام: ما توبتنا؟ قال: يقتل بعضكم بعضا. فيقول إنّ التوبة المقبولة هي قتلهم أنفسهم.

رغم كل هذه الأصول التي يلتزم بها موسى عليه السلام في محاورة قومه، لكنه قد يخرج من مبدأ الكم عندما يكرر التوبة ثلاث مرّات: (توبوا، تاب عليكم، التواب). وهذا اختراق مبدأ الكم يستلزم بأن هذه التوبة المؤكدة هي الطريق الوحيد للخلاص وهم كانون يشككون في فائدتها بل يجعل هذه التوبة مقبولة، يؤكد لهم على الله هو التوّاب الذي يتوب عليهم ويغفر لهم خطيئتهم.

يستلزم الحوار من استخدام اسم "البارئ" لله الترغيب إلى التوبة. ((البارئ هو الخالق الصانع)) (الطوسي، لاتا: ٢٤٥/١). ((البارئ هو الخالق يخلق على تناسب وتعديل فهو أخص من الخالق. و هذا التعبير من موسى عليه السلام يدّل على هذه الدلالات في اللفظ؛ فالبارئ يستلزم لهذا المخاطب المذنب الذي يخاف من عقوبة عمله، التحريض على التوبة، لأنها رجوع عن المعصية، فـ((معنى الشكر وكون الخلق على مثال متناسب، يزيد تحريضا على شكر الخالق.)) (ابن عاشور، لا تا: ٤٨٨/١). ويستخدم اللفظ " البارئ" للتحريض استغلالا لمبدأ المناسبة إذ التوبة هي القتل حكما من البارئ، والخالق الذي يخلق ويراعي

التناسب في الخلق هو يجعل هذه التوبة المقبولة عملا مناسبا لخطيئتهم والجزاء يناسب العمل إذ يرغب القوم بهذا اللفظ دون تفصيل آخر؛ ((و أنه يقول: ((هذه التوبة و قتلكم أنفسكم وإن كان أشق ما يكون من الأوامر لكن الله الذي أمركم بهذا الفناء و الزوال بالقتل هو الذي برأكم فالذي أحب وجودكم و هو خير لكم هو يحب الآن حلول القتل عليكم فهو خير لكم))(طباطبايي، ١٤١٧: ١/ ١٨٩) فيضاف ((الباري)) إلى ((كم)) للإشعار بالاختصاص لإثارة المحبة. وربما هذا الاستلزام يؤدي إلى ((التقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي برأهم بلطف حكمته على الأشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر، إلى عباد البقرة التي هي مثل في الغباوة و البلادة.- في أمثال العرب: أبلد من ثور- حتى عرضوا أنفسهم لسخط))(الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج١، ص: ١٤١)

والفاء في قوله ((فَتُوبُوا))، فاء التسبب، لأن الظلم سبب في الأمر بالتوبة، فالفاء لتفريع الأمر على الخبر)) (ابن عاشور، لاتا: ٤٨٨/١). أما القوم يعرف ذنبه ويعرف ضرورة التوبة لكنهم لا يعرفون كيفية التوبة وقبولها أو عدم قبولها. وهو يرحمهم ويخاطبهم ويصدر عليهم حكما جوابا للسؤال المقدر في أذهانهم لينجو من عاقبة ذنبهم بقوله ((فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ)). أمّا شدّة هذا الحكم فيعود إلى عظمة الذنب الذي ارتكبوه بعد كل ما شاهدوه من آيات ومعاجز، و إلى أن هذا الذنب عظيم يغاير أصول ومبادئ جميع الأديان السماوية فانهيار هذا الأصل فهو انهيار الدين، فلا يمكن التساهل مع هذه الظاهرة، ولعل في عبارة قوله تعالى: ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إشارة إلى هذا المعنى. (الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل، ج١، ص: ٢٢٨)

فالأمر بالقتل كالعمل الشاقّ من منظورهم يتحكم عليهم كالتوبة التي جعلها لهم البارئ وهو قبلها كالخير. وقيل لهذا الأمر معنيان: ((أحدهما،...أن يقتل بعضكم بعضا. والثاني،... أن يستسلموا للقتل فجعل استسلامهم للقتل قتلا منهم لأنفسهم على وجه التوسع. وقيل: ان السبعين الذين اختارهم موسى للميقات أمروا بالقتل لمن سأل الرؤية من بني إسرائيل وقيل: إنهم قتلوا أنفسهم كما أمروا. عمدوا الى الخناجر وجعل بعضهم يطعن بعضا.))(الطوسي، لاتا: ١/ ٢٤٥). هذان التفسيران من استغلال مبدأ الكم ومبدأ الأسلوب للمخاطب القرآني العامّ، إذ القرآن لا يريد في تفاصيل الأمر بل التاريخ يشير إليه. وكذلك هنا يعبّر عنهم بـ"أنفس" ويعتبرها مظلومة وظالمة؛ فتُجعل توبتهم هي قتل هذه النفوس الظالمة التي قبلت الظلم. والفاء ((فَاقْتُلُوا)) للترتيب والتعقيب أي عطف مفصل

على مجمل من القول السابق(ابن عاشور، لاتا: ١/ ٤٨٨).

أمّا قوله ((فَتابَ عَلَيْكُمْ)) فعطفت الفاء على محذوف إيجازا،(نفس المصدر: ٤٨٧ و) ((كأنه قال ففعلتم أو قتلتم أنفسكم فتاب عليكم. وكان فيما بقي دلالة عليه.)) (الطوسي، لاتا: ١/ ٢٤٨)؛ وهذا الاستلزام الحواري ناتج عن استغلال مبدأ الكمّ، إذ يذكر نتيجة العمل فقط، مطابق لمبدأ التعاون لأنهم يعرفون ما جري لهم وخطيئتهم ولا يعرفون ما الذي لابد أن يفعلوه. يعطف بالفاء إشارة إلى تعقيب جرمهم بتوبته تعالى عليهم، وعدم تأخيرها إلى ما بعد استئصال جميع الذين عبدوا العجل؛ بل نسخ ذلك بقرب نزوله بعد العمل به قليلا أو دون العمل به وفي ذلك رحمة عظيمة بهم إذ حصل العفو عن ذنب عظيم بدون تكليفهم توبة شاقة بل اكتفاء بمجرد ندمهم و عزمهم على عدم العود لذلك. فَـ((تابَ عَلَيْكُمْ)) يدل على نزول التوبة وقبولها، (طباطبايي، ١٤١٧: ١/ ١٩٠) ويستلزم تذكيرهم بالنعمة اختراقا لمبدأ الكيف وهم كانوا لا يؤمنون بكلام موسى عليه السلام وإرشاده في بواطنهم.

وقوله: ((ذلِكُمْ)) اشارة الى التوبة مع القتل لأنفسهم على ما أمرهم اللّه تعالى به بدلالة قوله. و هذا الأمر عظيم يشقّ عليهم. وإنهم يشعرون بالظلم والمشقة في هذا الحكم أي كان عندهم توهّم الظلم من الله عليهم والله يدفع هذا الوهم بانتساب الظلم إلى أنفسهم فيما سبق الحكم، وفي الكلام الاستلزام الحواري الخاص لمبدأ الأسلوب، إذ يصرح القول بالظلم من منوياتهم وجعلهم الظالمين على أنفسهم والمستحقين على العقاب، ويدفع عنهم توهم ظلم الله بذكر كونه الخير من البارئ الذي يشفق عليهم ويرحمهم. كما نرى نصرح القرآن الكريم بهذه الفكرة في الآيات الأخرى نحو ﴿ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (لبقرة: ٥١).

وجملة ﴿إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ خبر وثناء على اللّه. فيها التأكيد بحرف التوكيد ((إن)) وضمير الفصل للحصر وكلّ هذا التأكيد للمخاطب تنتج الاستلزام الحواري الخاص لتنزيلهم منزلة من يشك في حصول التوبة عليهم بسبب عظم ذنبهم. ((و إنما جمع التواب مع الرحيم لأن توبته تعالى عليهم كانت بالعفو عن زلّة اتخاذهم العجل وهي زلة عظيمة لا يغفرها إلا الغفار، وبالنسخ لحكم قتلهم و ذلك رحمة فكان للرحيم موقع عظيم هنا وليس هو لمجرد الثناء.)) (ابن عاشور، لاتا: ١/ ٤٨٩) وتنزيل خالي الذهن والمتردد والمنكر منزلة غير منزلته يعتبر انزياحا عن قاعدة الصدق (عبدالمنعم، ٢٠٢٠: ٦٤) أي اختراق لهذا المبدأ يوحيهم عظمة

مغفرة من الله وسعة رحمته عليهم وهو كانوا يعتقدون بعظمة الأمر بالقتل عقابا لهم.

٣-٢. خطاب موسى عليه السلام وقومه في موضوع رؤية الله

أمّا الموضوع الآخر الذي كان من مطالب قوم موسى عليه السلام والذي أصر القوم عليه فهو موضوع رؤية الله. ويقول عزّ وجل:

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ﴾ (البقرة: ٥٥)

وقد تكرّر الموضوع في الآيات الأخرى مثل: ﴿يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ....﴾ (النساء:١٥٣) وهنا ندرس قولهم في سورة البقرة من منظور الاستلزام وقاعدة التعاون واختراقها.

كان بنو إسرائيل يعتقدون بما يرون عينا وما كانوا يستطيعون أن يعتقدوا بالغيب دون الرؤية بالعيان وهذه العقيدة قد تشدد في نفوسهم وتجعلهم أن ينفروا من إطاعة الله الذي لا يرون بعيونهم وهم كانوا ينسون المعجزات والآيات التي تشير بوجود الله عقلا ويقينا. وبعد كل هذه الآيات الإلهية وبعد كل الرحمات والمغفرات فيستدعون رؤية الله جهرة. التصريح بالجهرة يبين نوع الفعل وهو مفعول مطلق نوعي أي: أن يروا الله روية جهرة بعيونهم. هنا يلتزم القوم في قولهم بأصول مبدأ التعاون ويصرحون بطلبهم وهو الجهر في الرؤية؛ إنهم أرادوا الرؤية بالعين دون رؤية القلب(الطوسي، لاتا: ١/ ٢٥١).

مطالبة رؤية الله جهرة في الدنيا أمر محال ورغم أنّه كان سؤال موسى عليه السلام لقومه ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ ولا خلاف بين اهل التوراة أن موسى ما سأل الرؤية الا دفعة واحدة. (الطوسي، لاتا: ٢٥٣/١) ورفض الله الطلب واستقر هذا المعتقد أنه لا يمكن الوقوع في الدنيا فتكرار هذا الطلب والإلحاح عليه كان يدلّ على تعنتهم وشكهم في الخبر، فالعقوبة كانت بسبب طلب ما لا يجوز على الله من الرؤية و الشك في صدق موسى عليه السلام بعد كل هذ المعجزات والأخبار الواجبة الصدق أو قد يحكي هذا الطلب عن ظاهرة لجاج القوم وعنادهم التي يتميزون بها دوما. (مكارم شيرازي،١٤٢١: ١/ ٢٢٩) على أي حال، طلب بنو إسرائيل من نبيهم بصراحة أن يروا اللّه جهرة، و علوا ذلك شرطا لإيمانهم. وهذا بالاختصار، وسيأتي تفصيلها في سورة الأعراف، الآية ١٥٥، وسورة النساء الآية ١٥٣.

إنهم كانوا يذكرون هذا الطلب بعد تصريحهم بأنهم ((لن نومن لك حتى...)) وجعلوا الايمان رهينا بالروية. ومطابقا لأصل التعاون في محاورتهم موسى عليه السلام صرّحوا بالطلب بالصراحة والوضوح. وحسب اختراق مبدأ الصدق أنهم كانوا في معرض الشك بموسي إذ استلزم قولهم أنهم دخلوا الشك ببعثة النبي موسى عليه السلام أي ((إنهم يرتدون في المستقبل عن إيمانهم الذي اتصفوا به من قبل، ويحتمل أنهم أرادوا الإيمان الكامل الذي دليله المشاهدة أي: إن أحد هذين الإيمانين ينتفي إن لم يروا اللّه جهرة لأن لن لنفي المستقبل... (وهذا يدل) على عجرفتهم و قلة اكتراثهم بما أوتوا من النعم وما شاهدوا من المعجزات حتى راموا أن يروا اللّه جهرة وإن لم يروه دخلهم الشك في صدق موسى.)) (ابن عاشور، لاتا: ١/ ٤٩٠) و إنما عدّى نُؤْمِنَ باللام لتضمينه معنى الإقرار باللّه أي يقول: لن نقر لك بالصدق واللام يدلّ على هذا الفعل المحذوف. ((نفس المصدر: ٤٩٠)) ونتج من الاستغلال لمبدأ الكيف وهم يعرضون بأن الايمان مطالبة موسى وهم لا يقبلون هذا الانتفاع له حسب ((لام)) اختصاص وانتفاع، إذ يوكد قولهم بـ((لن)) النفي القاطع للمستقبل أي أنهم ما كانوا كافرين لكن عدم إجابة طلبهم سيؤدي إلى الكفر ويستلزم قولهم باختراق مبدأ الكيف، انهم لا يقبل كلام موسى تماما ولا يريدون أن يعتقنوا أوامره. وهم لا يثقون به (طالقاني، ١٣٦٢: ١/ ١٦١).

عدم الوثوق بموسي وصدقه وحقانيته وعدم الايمان بالله قلبا والتهديد بالكفر جعل موسى عليه السلام أن يستنكف عنهم ويتركهم عند الله ليقضي الله عليهم؛ إذ هذا الاستلزام الحواري الخاص من كلامهم جعل ألا يجادلهم موسى عليه السلام، فبهذه العجرفة و قلة الاكتراث بالمعجزات وعدم الالتزام بأوامر الرسول، سيقدر الله عليهم موتهم بالصاعقة ولو لا يدوم إلا قليلا. وهذا الاستلزام يؤدي إلى اختراق التعاون في الحوار إذ لا يكلمّهم موسى عليه السلام ويفضّل السكوت. هذا السؤال بعد الاحتجاجات المتعددة في الاعتناق بالإيمان وقبول عبودية الله، سؤال عظيم من القوم إذ يعجز موسى عليه السلام عن اقناعهم، فيترك موسى عليه السلام إجابته إلى الله بما هو طلب محال بالذات وسؤال غير جايز (فضل الله،١٣٨٩: ٣٠٠). فبطلبهم هذا قد تبنّوا عقيدة المشركين الوثنيين في تجسيد اللّه وتحديده، و قد أدى عنادهم هذا إلى نزول عذاب اللّه عليهم، صاعقة من السماء أحاطت بهم لما ارتكبوه من ظلم كبير إذ تقول الآية: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ﴾.

٣-٣. خطاب موسى وقومه في ذبح البقرة

وكان بنو اسرائيل من أكثر الناس جدلاً وخروجاً على شريعة الله تعالى فعندما طلب الله أن يذبحوا أية بقرة حتى يعرفوا القاتل؛ وطرحوا على موسى مجموعة هائلة من الأسئلة، ومع هذا فقد واجههم موسى عليه السلام بالصبر، وهكذا يعلّمنا القرآن كيف نصبر على حوار ناقضي العهود، وأن لا نيئس من الوصول إلى الحقيقة، وقد كان في هذا الحوار، تعزيةً للنبي عليه السلام وللمسلمين على ما كان يواجهونه من عنت المشركين وإلحاح على قولهم الباطل. وقد أورد القرآن الكريم هذا المشهد مفصّلاً في سورة البقرة، قال تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ * قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ * قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾.

سميت السورة سورة البقرة بسبب قصة بقرة بني إسرائيل (الطباطبايي، ١٤١٧: ١٩٩/١)، وأشار صاحب الكشّاف إلى شأن نزولها: ((كان في بنى إسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه، وطرحوه على باب مدينة ثم جاءوا يطالبون بديته، فأمرهم اللّه أن يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله)) (الزمخشري، ١٤٠٧: ١/ ١٤٨).

بعد ما جاءهم الأمر بذبخ البقرة لم يعتنقوه وقالوا ((أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا)) إذ لم يلتزموا أصل التعاون في الحوار. فيعتبر قولهم خرقٌ لمبدأ المناسبة وخرقا لأصل التأدّب في الكلام أي لا يحترم القوم كونه رسولا من الله ومبلغا أوامره ولا يجيبه بما يليق القول به وكأنّهم لا يهتمون بشأن موسى عليه السلام وباعتناق ما يبلّغهم. طلب النبي عليه السلام منهم أن يذبحوا بقرة، لكنّهم اعتبروا ذلك هزءاً وسخريةً و هذا لا يليق بموسي عليه السلام. ومع أنّهم يدرون أنّ الأمر من جانب الله سبحانه، والنبي صادق في إبلاغ الوحي، فيعتبر هذا الكلام إساءةً لله وكذباً لنبيه.

أما هناك فيلاحظ التزام موسى عليه السلام بأصل التعاون في استعاذته بالله تعالى: ﴿أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾، لأنّ هذا التصرّف على حسب مفهومهم الخاطىء يجعل موسى في موقف

الجاهل الذي لا يعرف كيف يتصرّف وأين يضع كلماته. لكنّ النبي صلى الله عليه وآله بدل أن ينسب إليهم الجهل والافتراء، يلتزم بأصل التأدب في الكلام وبرأ نفسه من التهمة بالاستعاذة بالله تعالى فحسب، لأنّ ((العياذ بالله)) من أبلغ كلمات النفي. فأجاب موسى عليه السلام عنهم بالتلميح والتعريض، مراعاةً لمبدأ التأدب والتهذيب. والتعريض لدي العرب يغطي مفهوم التلويح المخصص لدي غرايس (عبدالمنعم، ٢٠٢٠: ٨٢)

ومن الملاحظ أنّه في قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ﴾ استخدم لفظة ((ربك)) من غير أن يقولوا ((ربنا)) (طباطبايي، ١/١٩٩) مع أنّ إلههم كان واحداً، كأن القضية تختصّ بموسي وربّه، ولا ربّهم جميعاً. فهذا القول يحسب خرقٌ آخر لنظرية التأدّب، ودليل على سفاهتهم دون إظهار الودّ و التعاون، لا ينسبون الله بأنفسهم بل يعتبرونه ربّ موسى عليه السلام إذ يمكن أن نعتبر كلامهم الانزياح من أصل الأسلوب، وكانوا لا يقبلون الابلاغ من موسى عليه السلام بل يريدون أن يبين ربّ موسى الأمرَ. وكذلك هناك خرقٌ لمبدأ الكمّ للحذف الذي حدث في جواب الطلب، والجملة المحذوفة هي: (إن تدعه يسمع فيبين). الحذف الذي يستنبطه من السياق، فهو الاستلزام(عبدالمنعم، ٢٠٢٠: ٧٥)

وقوله: ((ما هِيَ)): السؤال بـ (ما) في كلام العرب وهي موضوعة للاستفهام عن أفراد غير العقلاء ويطلب بها إيضاح الإسم أو بيان حقيقة المسمّي أو بيان الصفة.(الهاشمي، ١٣٧٣:٩٥) ((وهنا موضوعة للسؤال عن الصفة. وهم سألوا بـ (ما) عن صفة غير معينة)) (ابن عاشور، لاتا: ١/ ٥٣٢) فكما يبدو لا وجه لهذا الطلب، لأنّ اللفظ بيّن والبقرة معلومة، فلا يحتاج إلى بيان لوضوح المطلب. فيُعدّ خرق لقاعدة الأسلوب أو الطريقة.

كما يعدّ تكرار عبارة ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا﴾ لثلاث مرّات، خرق لقاعدة الكمّ. والتكرار يدلّ على الإعادة من جديد إلى المشاغبة. إنهم بإختراق مبدأ الكم كانوا لا يراعون مبدأ التعاون في الحوار و أصرّوا على السؤال ليستلزم قولهم أنهم لا يريدون أن يعتقوا بالدين و التشريع اللهي قلبا دون التعنت و الجحد والانكار و هذا القول يستلزم عدم رغبتهم في الدين والاعتناق بأوامر النبي المرسل موسى عليه السلام.

وقوله: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ جواب مناسب لسؤالهم، لكن التأكيد

لقول موسى ومقول اللّه تعالى بـ((إن))، تنزيلا لهم منزلة المنكرين لما بدا من تعنتهم، وهذا الحوار التفاعلي يكشف عن الخصومة والصراع. ((ويجوز أن يكون التأكيد الذي في كلام موسى لتنزيلهم منزلة أن يكون اللّه قال لموسى ذلك، جريا على اتهامهم السابق في قولهم: ﴿أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا﴾(البقرة: ٦٧) جوابا عن قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ﴾. (ابن عاشور، لا تا: ١/ ٥٣٢).

ووقع قوله: ﴿لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ موقع الصفة لبقرة وأقحم فيه حرف (لا) لكون الصفة بنفي وصف ثم بنفي آخر على معنى إثبات وصف واسطة بين الوصفين المنفيين فلما جيء بحرف (لا) أجري الإعراب على ما بعده لأن (لا) غير عاملة شيئا، **وجاء** في جوابهم بهذا الإطناب دون أن يقول من أول الجواب إنها عوان تعريضا بغباوتهم واحتياجهم إلى تكثير التوصيف.(نفس المصدر ٥٣٢) وهذا خرق لقاعدة الكمّ. والحجة في هذا الإطناب هي إزالة اللبس مع التعريض بغباوتهم واحتياجهم إلى التفاصيل حتى يتركوا الأباطيل والأسئلة غير الضرورية. و الفاء في قوله ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ الفصيحة، وموقعها هنا موقع قطع العذر مع الحث على الامتثال (المصدر نفسه: ٥٣٤)، والأمر من كلام موسى عليه السلام لا من كلام الله عزّ وجلّ؛ يُراد به الحثّ على ذبح البقرة، فموسى عليه السلام يقول لبني إسرائيل: افعلوا ما تؤمرون به من ذبح بقرة لا فارض، ولا بكر، ولا تكثروا السؤال، ولا تتعنتوا فيشدد عليكم مرة ثانية؛ ولو أنهم امتثلوا، لحصل المقصود؛ ولكنهم أهل عناد، وتعنت؛ ولهذا أمرهم أمراً ثانياً؛ ومع ذلك كرّروا سؤالهم بشكل آخر.

فردّ عليهم موسى عليه السلام من جانب الله سبحانه: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ﴾ تشديداً لهم في معايير انتخاب البقرة من اللون، بثلاث شروط، وهي صفراء، شديد صفرتها، لكنها ليست مستكرهة بل تجلب السرور. فخرج كلامه هنا من مبدأ الكمّ حيث أضاف بعض الكلمات غير اللازمة. ((فكان وصفه بفاقع وصفا حقيقيا و لكن عدل عن أن يقال صفراء فاقعة إلى صَفْراءُ فاقعٌ لَونُها ليحصل وصفها بالفقوع مرتين إذ وصف اللون بالفقوع، ثم لما كان اللون مضافا لضمير الصفراء كان ما يجري عليه من الأوصاف جاريا على سببيه))، (المصدر نفسه:٥٣٤) وكان بإمكانه أن يكتفي بـ ((صفراء فاقعة)) لكنه يزيد ((فاقع لونها))، فأكد قوله بالجملة الإسمية، كما كرّر حرف المشبّهة بالفعل ((إنّ))،

ليحثّهم بذبح البقرة، لكنّهم تواصلوا الحوار عناداً: ﴿إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا﴾ و حسب أصل التعاون في الحوار ليستجيبهم موسى عليه السلام ويبين لهم الحقيقة دون أن يتّهمهم باللجاج والعناد. وقولهم ﴿وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾، الجملة مؤكدة بـ(إنّ و اللام) ليهدي ذهن المخاطب إلى حسن القصد من أسئلتهم المتكررة، تفادياً من غضب موسى عليهم، وفقاً لنظرية التعاون فهم راعوا الأدب مع الله في ردّ الأمر إليه في طلب حصول الخبر. و قولهم ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾ تنشيط لموسى و وعد له بالامتثال لينشط إلى دعاء ربه بالبيان ولتندفع عنه سآمة مراجعتهم التي ظهرت بوارقها في قوله: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ لإظهار حسن المقصد من كثرة السؤال وأن ليس قصدهم الإعنات.

وبما أنّهم استمروّا في التكرار فشدّد الله عليهم مرّة أخرى وجاء الجواب أكثر تحديداً وتضييقاً: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾، ((وبذلك يعلم أن أمرهم بهاته الصفات كلها هو تشريع طارئ قصد منه تأديبهم على سؤالهم، فتكليفهم بهاته الصفات العسير وجودها مجتمعة تأديب علمي على سوء فهمهم في التشريع كما يؤدّب طالب العلم إذا سأل سؤالا لا يليق برتبته في العلم)).(ابن عاشور، لا تا: ١/ ٥٣٤)

ويستلزم قول بني إسرائيل خرق قاعدة التأدّب باستعمال كلمة (الآن): ((قالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ))، كأنّ كلّ أقوال النبي عليه السلام فيما مضي كان باطلاً وفي هذه اللحظة تيقّنوا أنّ ما جاء به هو الحق. و هذا الاختراق لمبدأ الأسلوب ويستلزم قولهم أن موسى لا يريد أن يفعلوا ما عليه من الابلاغ وأنهم يحاولون أن يذبح البقرة المقصودة دون الأخرى وكانوا يعتقدون أن موسى عليه السلام لا يطيق أسئلتهم في الباطن. ويعتقد تومي أنّ هذه الآية خروج من الخبر إلى نعني الالتزام أي الآن نلتزم بطلبك و نجيبك إليه و هو التزام و وعد منهم بتنفيذ الأمر بذبح البقرة حسب دلالة السياق(تومي، ٢٠١٩: ٤٨).

وهذا القول من عزّ وجلّ ﴿فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ يبين أنّ كلامهم شيء و عملهم شيء آخر وهناك مقاصد أخرى في أقوالهم التي يمكن أن تدرك منها، لأنهم كانوا لا يعيشون في أنفسهم روح الطاعة والانقياد و ما كادوا يجدون حجة على الامتناع بهذه الأوصاف المتعدّدة ولم يملكوا سؤالاً جديداً ﴿وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ﴾ ((عطفت الفاء جملة فَذَبَحُوها على

مقدر معلوم و هو فوجدوها أو فظفروا بها))(ابن عاشور، لا تا: ١/ ٥٣٨)، خرقا لقاعدة الكمّ لأن يشير إلى أن هذا الفعل لا يهمّهم في الحقيقة.

٤. النتائج

في الآية ٥٤ من سورة البقرة في خطاب موسى لقومة بعد ارتكابهم الإثم ينطلق موسى عليه السلام كلامه بمراعاة مبدأ الأدب و التعاون ويرشدهم بالرفق إلى التوبة و يساهم في حالهم ليعتنقوا أمر الله. و إذا خرج موسى من مبدا الكم بالتكرار في قوله فيحرّضهم على التوبة المقبولة. والاختراق في مبدأ المناسب يلائم الأمر بالتوبة من الباريء وهو الأمر بقتل بعضهم البعض. والاختراق بمبدأ الكم ليكتفي الكلام بذكر النتيجة الهامة و بذكر كونه الخير من البارئ الذي يشفق عليهم ويرحمهم. و الاختراق قاعدة الصدق يوحيهم عظمة مغفرة من الله.

وفي الآية ٥٥ من سورة البقرة في موضوع رؤية الله وهو طلبٌ مستحيلٌ منعهم الله منه. طلب ينو إسرائيل من نبيهم بصراحة أ((يروا الله جهرة بالعيان شرطا لإيمانهم. حسب أصل التعاون صرّحوا بطلبتهم بالوضوح، لكن قولهم كان قد اخترق مبدأ الصدق إذ انزاحوا عن مبدأ الأسلوب واستلزم كلامهم الشك بقول النبي موسى عليه السلام وصداقته واستخدام اللام للانتفاع والاختصاص دلّ على الانزياح من مبدأ الكيف واستلزم كلامهم عدم الوثوق بالنبي. لكن النبي موسى عليه السلام ترك الحوار في هذا السؤال المحال وجعل الله أن يبكتهم بنزول الصاعقة عليهم بما ظلموا أنفسهم.

أمّا في موضوع خطاب موسى وقومه في ذبح البقرة أمرا من الله وهو موضوع الآيات ٦٧-٧١ من سورة البقرة فنري الاختراق في مبدأ لأصل التعاون. فيكذبون النبي و يسيئون إليه بقولهم اختراق لأصل التأدب في الكلام و نشاهد الانزياح من مبدأ الكم والأسلوب والكيف في كلامهم ليستلزم كلامهم ما يعتقدون في بواطنهم وما يضمرون في أنفسهم من التعنت. لكن النبي موسى عليه السلام التزم بأصل التعاون والتأدب في كلامه وأجابهم بالصبر والاطمئنان مراعاة أصل التعاون والتأدب والقواعد الأربعة من هذا الأصل لكن الله خرقا لقاعدة الكم في كلامه يستلزم لنا هذا الجحد والعناد منهم.

فحسب هذه الآيات وما طرح فيها من الحوارات نرى أن موسى كان يلتزم بأصل التعاون والأدب في خطابه ليرشدهم إلى طريق الصواب، رغم أنّ قومه يتلكمون بشيء وينوون أمرا آخرا إذ قد يخرج كلامهم عن أصول التعاون في الحوار ويستلزم قولهم الدلالات الأخرى حسب السياق وحسب مقاصدهم.

قائمة المصادر والمراجع

إن خير ما نبتديء به القرآن الكريم.

١- ابن عاشور، محمد بن طاهر(لا تا). التحرير و التنوير. بيروت: مؤسسة التاريخ.

٢- أدواري، العياشي (٢٠١١)، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، منشورات الاختلاف، دار الزمان، المغرب، الجزاير.

٣- أسواري، على و خديجه احمدي بيغش (٢٠٢٠). الاستلزام الحواري لحوارات موسى وابراهيم عليهما السلام في سورة الشعراء وفق نظرية غرايس)). مجلة اللغة العربية وآدابها. س١٦، ع٢،صص ١٨٥-٢٠٣.

٤- اسماعيل، صلاح (٢٠٠٥). ((النظرية القصدية في المعنى عند جرايس)). حوليات الآداب و العلوم الاجتماعية(كويت)، ج٢٥، ع٢٣٠، صص

٥- بابا حيدر زليخة و بوتدارة حسناء(٢٠١٧). الاستلزام الحواري في القرآن الكريم سورة الكهف أنموذجا. إأطروحة الدكتوراه، إشراف بلالي مبارك، الجزائر.

٦- البلداوي، جنان سالم محمد (٢٠١٩). الاستلزام الحواري المعمم في القرآن الكريم)). مجلة بحوث الشرق الأوسط. ع ٥١، صص ٣٧٠-٣٩١.

٧- بلانشية، فيليپ (٢٠٠٧)، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر: صابر الحباشة، الطبعة الأولى، سورية، دار الحوار للنشر والتوضيع.

٨- تومي عيسى (٢٠١٩). الاستلزام الحواري في خطاب القرآني مقاربة تداولية في آيات من سورة البقرة. مجلة إشكالات في اللغة والأدب. ج ٨، ع ١،رقم ١٦؛ ص٤٣-٦٢.

٩- الجهني، نورة صبيان بخيت (٢٠١٥).((الاستلزام الحواري وأسلوب الحكيم)). مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.ع٩. صص ٨٧- ١٢١.

١٠- الدنيناوي، حيدر جاسم جابر(٢٠١٨). ((الاستلزام الحواري عند ابن جني في كتابه الخصائص مقاربة تداولية)) بحوث اللغة العربية وآدابها. جامعة ميسان، صص ٧١- ٨٧.

١١- الزمخشري، محمود(١٤٠٧). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. بيروت: دار الكتاب العربي.

١٢-سعاد، ميرود (٢٠١٨).((الاستلزام الحواري في سورة طه، تحليل تداولي وفق نظرية غرايس)). مجلة المدوّنة، ج٥، ع١، صص ٣١٩-٣٣٨.

١٣- طالقانی سید محمود (١٣٦٢). پرتوی از قرآن. تهران: شرکت سهامی انتشار.ط٤.
١٤- طباطبایی سید محمد حسین(١٤١٧ ق).المیزان فی تفسیر القرآن. قم: دفتر انتشارات اسلامی جامعه‌ی مدرسین حوزه علمیه قم، ط٥.
١٥- طوسی محمد بن حسن (لا تا). التبیان فی تفسیر القرآن. تحقیق: با مقدمه شیخ آغابزرگ تهرانی و تحقیق احمد قصیر عاملی. بیروت: دار احیاء التراث العربی.
١٦-عبدالرحمن طه(١٩٨٩). اللسان و الميزان أو التكوثر العقلي. المغرب: المركز الثقافي العربي.
١٧- عبدالحافظ القباطي إفهام (٢٠٢٠). ((الاستلزام الحواري في سورة يوسف(دراسة تداولية))). مجلة العلوم التربوية والدراسات الإنسانية. ج٥،ع١٢،صص ٤٣٨- ٤٦٠.
١٨- عبدالمنعم عبدالله عبدالمنعم محمود السيوطي (٢٠٢٠). آليات الاستلزام الحواري في القرآن الكريم دراسة أسلوبية تداولية. أطروحة الدكتوراه، إشراف إبراهيم محمود عوض. جامعة عين الشمس كلية الآداب.
١٩-علی، محمد یونس (٢٠٠٧)، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربيّة، الطبعة الثانية، بيروت، دار المدار الإسلامي.
٢٠-فضل الله، محمد حسین (١٣٨٩). گفت وگو و تفاهم در قرآن کریم. تر: سید حسین میردامادي. ط٢. تهران: انتشارات هرمس.
٢١-كوثر حمو(٢٠١٧). الاستلزام الحواري من خلال خطابات سيدنا ابراهيم عليه السلام، دراسة تداولية)). رسالة ماجيستر. اشراف أ.د البار عبدالقادر، جامعة قاصدي مرباح، الجزاير.
٢٢- مكارم شيرازي، ناصر(١٤٢١). الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل. قم: مدرسه علی بن ابي طالب.
٢٣-موشلار، جاك وآن ريبول (٢٠١٠)، القاموس الموسوعي للتّداولية، تر: مجموعة من المترجمين، تونس، دار سيناترا.
٢٤-نحلة، محمود أحمد نحلة(٢٠٠٢)، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، الطبعة الأولى، دار المعرفة.
٢٥- الهاشمي، أحمد(١٩٩٩)، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية.
٢٦- يول، جورج(١٣٩١). کاربردشناسي زبان. تر:محمد عموزاده و منوچهر توانگر. تهران: سمت.
27-Greenal, A.K (2006). "Maxims & Flouting', in: Encyclopedia of Language & Linguistics, 2nd Edition.
28-Grice, H.P. (1995). Logic and Conversation, in P. Cole & J.L